

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

رمضان 1421 - دراسات قرآنية - الدرس : 26 - من سورتي الأنبياء والحج - صفات أهل الذكر .

10-12-2000

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.
هناك مقولتان؛ الأولى: ليس العار أن تكون جاهلاً, لكن العار أن تبقى جاهلاً, وليس العار أن تكون مخطئاً, لكن العار أن تبقى مخطئاً.

هناك آيتان في القرآن الكريم, وردت واحدة في سورة الأنبياء. قال تعالى:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة النحل الآية:43]

لا تستطيع أن تدخل على طبيب, إلا وفي جيبك مال, ولا أن تطرق باب محام, إلا وفي جيبك مال, ولن تستطيع أن تدخل في الأرض على مؤسسة, أو سوق, أو محل, أو مكتب, إلا وفي جيبك مال, إلا إذا دخلت بيوت الله, تدخل, وتسال, وتسال, ويُجاب لك بلا مقابل, لأن الله سبحانه وتعالى سيعطي هؤلاء الذين يعني طلبوا العلم, وعلّموا العلم أجراً كبيراً, هم يحتسبون أجرهم عند الله, ما دامت القضية قضية سؤال, لماذا تبخل في السؤال؟ اسأل: ما حكم الشرع في هذا الموضوع؟ ماذا ينبغي أن أفعل؟ ما الذي يرضي الله عز وجل؟ ما هي سنة النبي في هذا الموضوع؟ أشيروا علي. قال تعالى:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾

[سورة النحل الآية:43]

من هم أهل الذكر؟

في آيات أخرى وُصف القرآن بأنه ذكر, يعني: فاسألوا أهل الوحي, فاسألوا الذين يعرفون منهج الله, فأنت مكلف أن تسأل, ومفتاح العلم السؤال, ومن استشار الرجال استعار عقولهم.
إنسان قد تكون له خبرات لا تقدر بثمن, عمرها خمسون عاماً؛ خبرات, مع علم, ومنهج, أنت إن قدمت على عمل, أسأله: هل هذا العمل يرضي الله؟

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة النحل الآية:43]

يعني: لا يوجد وزارة في العالم, الموظفون فيها يحتسبون أجرهم عند الله إلا الأوقاف, لا يوجد وزارة, سمعت بالإعلام في حسبتان, سمعت بالمالية في حسبتان, لا يوجد, كله مقابل أجر, إلا في هذه الوزارة, يعني الخطباء والمدرسون كلهم يعملون حسبة لله عز وجل في سبيل الله, فإذا سألتهم حققوا هدفهم, وقدموا لك العلم, يعني ليس لك عذر, اسأل, لكن الذي يحصل: أن واحداً من الناس, يلتقي بمن يعمل في الحقل الديني من الدرجة العشرين, يسأله سؤالاً موجهاً, فيأخذ جواباً على مزاجه, ويكتفي, لا, هذا ليس صحيحاً, أنت لن تتبع بيتاً إذا استشرت دلالاً واحداً, تسأل اثنان, وثلاثة, وأربعة, من أجل أن تنتور.

((إن هذا العلم دين, فانظروا عمن تأخذون دينكم))

إن سألت اطلب الدليل, اسأل جهة أخرى, واطلب الدليل, ووازن بين الأدلة, فالذي دليله أقوى تتبعه. إذا: ليس العار أن تكون جاهلاً, العار أن تبقى جاهلاً, ليس العار أن تكون مخطئاً, العار أن تبقى مخطئاً:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة النحل الآية:43]

هذه قضية متعلقة بالمنهج: افعل ولا تفعل, متعلقة بالفرض, والواجب, والسنة, والمباح, والمكروه, والحرام, لكن إن أردت أن تتعرف إلى الله, إلى الذات العلية, إلى أسماء الله الحسنى. قال:

﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرًا﴾

[سورة الفرقان الآية:59]

كان هناك عالماً يعرف, يعرف الله, وهناك عالم يعرف أمره, وهناك عالم يعرف خلقه, المتخصصون بالفيزياء, والكيمياء, والرياضيات, والطب, والهندسة, والفلك, وعلم النفس, وعلم الاجتماع, وما إلى ذلك هؤلاء يعرفون خلقه, والمتخصصون بعلم الشريعة يعرفون أمره, أما إن سألت أهل القرب من الله, الذين عرفوا الله, عرفوا كماله, عرفوا أسماءه الحسنى, عرفوا صفاته الفضلى, هؤلاء:

﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرًا﴾

[سورة الفرقان الآية:59]

فأنت تسأل بلا مقابل, وبلا رسم, وبلا أتعاب, بالعكس: لن تنتفع إلا من فئة واحدة, وُصفت في القرآن:

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾

[سورة ياسين الآية:20]

﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾

[سورة ياسين الآية:21]

علامة المهتدي: أنه يحتسب جهده عند الله, لا يسألك أجرا:

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ﴾

[سورة آل عمران الآية:18]

معنى العالم حقيقة: هو الذي يبين لك عدالة الله, هذه علامة ثانية. علامة الثالثة:

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾

[سورة الأحزاب الآية:39]

لو أنهم خافوا من غير الله, فسكتوا عن الحق, وخافوا من غير الله, فنطقوا بالباطل, ماذا بقي من دعوتهم؟ انتهت دعوتهم؛ فاسأل الذي لا يسألك أجرا, واسأل الذي يبين لك كمال الله عز وجل, واسأل الذي لا يخاف في الله لومة لائم:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾

[سورة السجدة الآية:24]

معنى: اسأل إنسان دفع ثمن الدعوة, دفع ثمنها باهظ, ضيع عليه فرصاً كثيرة, وضيع عليه دنيا عريضة في سبيل الله:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾

[سورة السجدة الآية:24]

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّتْهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾

[سورة البقرة الآية:124]

متى جعل إماماً؟ بعد أن أتم كلمات الله عز وجل.

هناك آيات كثيرة ترشدك إلى من ينبغي أن تسأل؟ من ينبغي أن تسأل؟ ينبغي أن تسأل المطبق, لأن غير المطبق لا يستحق أن تسأل, ينبغي أن تسأل المخلص. فهذه آية مهمة جداً:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة النحل الآية:43]

اسأل أخ من أخواننا في ضائقة مالية شديدة جداً, وعليه ديون, وهو يعمل في بعض الصناعات الشرقية, جاءه عرض لخمسئة بيت مصحف من المزريك, الذي عرض عليه غير مسلم, فرفض هذا الشيء, هو يجهل الحكم الشرعي, لا يوجد مشكلة أبداً.

النبي تعامل مع أهل الكتاب, هو تعامل معهم ليكون مشرعاً, تعامل معهم ليكون مشرعاً, فلأنه لم يسأل, فوت عليه مبلغاً كبيراً جداً, وكان بإمكان هذا المبلغ أن يسد كل ديونه, لا بجهل.

أحياناً الإنسان: يرتكب حماقة لأنه لم يسأل, لو سأل لحتت المشكلة:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة النحل الآية:43]

قضية متعلقة بذات الله:

﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرًا﴾

[سورة الفرقان الآية:59]

متعلقة بمنهج الله تسأل أهل الذكر, عندك علماء شريعة, وعلماء حقيقة مثلاً, أوهم علماء موحدون, يعرفون الله, ويعرفون أمره, دون أن نعقب عليه:

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة النحل الآية:43]

﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَيْرًا﴾

[سورة الفرقان الآية:59]

إذاً: ليس لك حجة, آية يعني فيها إشكال كبير, وأنت منها في وجل, اسأل عنها, اسأل:

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾

[سورة يونس الآية:39]

معنى ذلك: ينبغي أن يسألوا عن تأويله:

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾

[سورة السجدة الآية:13]

ولكن الله لا يريد, لا ليس هذا المعنى, هذا المعنى فاسد, لو أردنا أن نلغي هويتكم أنكم مخيرون, لو أردنا أن نجبركم على شيء, لما أجبرناكم إلا على الهدى, ولكنكم مخيرون. هذا معنى:

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾

[سورة السجدة الآية:13]

لو شئنا أن نلغي اختياركم, أن نلغي التكليف, أن نلغي حمل الأمانة, أن نلغي المسؤولية, أن نلغي الجنة والنار, أن نلغي الثواب والعقاب, وأردنا أن نجبركم على شيء ما, لما أجبرناكم إلا على الهدى. هذا المعنى:

﴿وَتَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾

[سورة الشمس الآية:7]

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾

[سورة الشمس الآية:8]

ليس معنى أنه خلق فيها الفجور, لكن المعنى: أنه فطرها فطرة عالية جداً, بحيث لو فجرت تعرف أنها فجرت من دون معلل, مبرمج برمجة عالية, فإذا آية فيها إشكال, أسأل عنها:

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾

[سورة يونس الآية:39]

﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾

[سورة النحل الآية:93]

أنا ما ذنبي؟ الله لم يهدن, لا ليس هذا المعنى, يشاء: تعود على الإنسان, يعني يهدي من يشاء الهداية من بني البشر, ويضل من يريد الضلالة, هكذا العمل. في آيات كثيرة:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾

[سورة الحج الآية:52]

شيطان معناها مسلط على الأنبياء, لا ليس هذا المعنى, حينما يتمنى النبي هداية قومه, يلقي الشيطان في أمنيته هو أن يضلهم, هذا المعنى, إذا تمنى النبي هداية قومه, يلقي الشيطان في أمنيته إضلالهم هذا المعنى, واضح المعنى, آيات كثيرة جداً من هذا الخصوص, ينبغي أن نفهمها فهماً صحيحاً:

﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾

[سورة النحل الآية:93]

هذا إضلال جزائي مبني على ضلال اختياري, كقوله تعالى:

﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾

[سورة الصف الآية:5]

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾

[سورة الكهف الآية:28]

ليس المعنى أن الله جعله غافلاً, لا, وجده غافلاً.

أغفلنا في اللغة العربية: وجدته هكذا, عاشرتكم فما أجبنتكم؛ يعني ما وجدتك جباناً, عاشرتكم فما أبخلتكم؛ أي ما وجدتك بخيلاً, هذا المعنى باللغة, إذا في آية فيها إشكال اسأل, في عندك قضية شرعية فيها إشكال اسأل, قضية متعلقة بذات الله اسأل.

يعني: ليس العار أن تكون جاهلاً, العار أن تبقى جاهلاً, ليس العار أن تكون مخطئاً, العار أن تبقى مخطئاً, هذه واحدة:

﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾

[سورة الأنبياء الآية:23]

﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾

[سورة الأنبياء الآية:23]

يعني: ليس من شأن أن يُسأل, مقام الألوهية, لا يليق بهذا المقام أن تسأله, هذا معنى.
المعنى الثاني: كمال الخالق يُسكت الألسنة, الكمال والعدل يسكت الألسنة, إذًا: لا يسأل, نعم.
المعنى الثالث: نحن حينما نفعل شيئاً, نتخذه وسيلة لشيء آخر, إن رأيت من يحفر بئراً, تسأله: لم تحفر البئر؟ يقول لك: لاستخراج الماء, فاتخذ حفر البئر وسيلة, لكن الله جل جلاله لا يليق به أن يتخذ وسيلة لهدف, نحن من ضعفنا, نركب المركبة كي نستقلها إلى حلب, نُمسك بالمنظار كي نرى به النجوم, من ضعفنا نستخدم الوسائل لأهداف, أما الله ما عنده وسائل وأهداف, كن فيكون. إذًا:

﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾

[سورة الأنبياء الآية:23]

هذا المعنى ثالث:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾

[سورة الحج الآية:1]

﴿يَوْمَ تَرُؤْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾

[سورة الحج الآية:2]

يعني: المؤمن هو الذي يستعد للمستقبل, لأنه:

﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْفِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾

[سورة الإسراء الآية:58]

إذاً: إذا شرد العباد عن ربهم, لا بد من أن يعالجوا, فالمؤمن ينجيه الله عز وجل, أما:

﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾

[سورة الحج الآية:1]

إذا قال العظيم عن شيء إنه عظيم, العظيم قال: عظيم, نعم:

﴿يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾

[سورة الحج الآية:2]

أقسم لي أخ من القاهرة, أنه في زلزال القاهرة, زوجته أمسكت بحدانه وظننته ابنها الصغير الرضيع, وانطلقت تعدو لا تلوي على شيء, ثم اكتشفت أنه حذاء, وليس ابن, كم هي مضطربة؟ كم هي في شدة؟:

﴿تُذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾

[سورة الحج الآية:2]

أخواننا الكرام, يستوي الشباب جميعاً في الصحة, والتدفق, والتألق, لكن خريف العمر يمتاز به المؤمن, الذي أمضى حياته في طاعة الله, يتمتع الله بخريف العمر, لذلك قال تعالى:

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾

[سورة الحج الآية:5]

يقرف, يعيد القصة مئة مرة, يصبح حشري, يتدخل فيما لا يعنيه, ظله ثقيل جداً, أهله يهربون منه, يجلسونه في غرفة, ويبتعدون عنه, يعزلونه عن الناس, هذا أزدل العمر.

والله رأيت يعني علماء متقدمين في السن, والله كأنهم ملوك, بالتسعين يتمتع بصحته, وقوته, وذاكرته, وتألقه, وهو بين أخوانه وأولاده محفوف, مخدوم, معزز, مكرم, هذا خريف العمر متعلق بالشباب. كان في عالم ذهب إلى المدينة المنورة, كي يجاور فرأى النبي -عليه الصلاة والسلام- في المنام, قال له:

((يا ولدي, عمك في بلدك خير من مجاورتي, فعاد إلى الشام, وافتتح مدرسة خرجت معظم علماء دمشق, لكنه عمر ستاً وتسعين عاماً, بدأ التعليم في الثامنة عشرة, وترك التعليم في الثالثة والتسعين, إن رأى شاباً في الطريق, يقول له: يا بني أنت تلميذي, وكان أبوك تلميذي, وكان جدك تلميذي, وفي السادسة والتسعين كان منتصب القامة, حاد البصر, مرهف السمع, أسنانه في فمه حينما يُسأل: يا

سيدي ما هذه الصحة؟ يقول: يا بني حفظناها في الصغر، فحفظها الله علينا في الكبر، من عاش تقياً
عاش قوياً))

فإن أردت خريف عمر نشيطاً، متألّقاً، صحيحاً؛ لا خرف، ولا قلق، ولا خرف، فاتق الله:

﴿ثم يرد إلى أرذل العمر﴾

قال لي شخص: والدته تستلقي على ديوان، يربطون يديها ورجليها، هكذا، قلت: لماذا؟ قال: لأنه إذا
أطلقت يديها، خلعت كل ثيابها، وأكلت من غائطها، بقيت على هذا أكثر من اثنتي عشرة سنة، هذا أرذل
العمر.

أحياناً إنسان: يكون طريح الفراش ثلاثين سنة

أعرف قريبة لي، أصيبت بشلل، أول جمعة خدمة خمس نجوم، الجمعة الثانية أربعة، ثلاثة، اثنان،
واحد، بعد ذلك: تفرع على الجرس، لا أحد يرد، بعد ذلك: أسمعها كلمة: الله يخفف عنك -نعم- إلى أن
ماتت.

فالإنسان حينما يقع، أقرب الناس إليه يتمنى وفاته، أما سنة النبي --عليه الصلاة والسلام-- ثلاثة أيام في
أوجه، في تألقه يؤخذ، فموت الفجأة أخذة أسفٍ للكافر، ورحمة للمؤمن، ظلّه خفيف، نعم:

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾

[سورة الحج الآية:5]

في إنسان سوداوي المزاج، يقول لك: كل الطرق مغلقة أمامي، كل شيء معسر، الله لا يريدني، لا
يحبني، لم يفتح باب لي، نقول له:

﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾

-يعمل عمل صالح-:

﴿ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾

-كل معصية-:

﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ﴾

[سورة الحج الآية:15]

أنت عبد له، لا تقل لي: الله لا يحبني، الله يحب كل عباده.

ورد ببعض الآثار:

((يا داود، لو يعلم الكافر يعني انتظاري له، وشوقي إلى ترك معاصيه، لتقطعت أوصاله من حبي،

ولمات شوقاً إلي، هذه إرادتي في المعرضين، فكيف بالمقبلين؟))

لا تقل: الله لا يحبني, يحب كل عباده, خلقك ليسعدك, يمكن لا يحب عملك فقط, أما أنت لك يحبك, كالأب -الله المثل الأعلى- يكره عمل ابنه, أما إذا عاد ابنه تائباً, يضمه إلى صدره. ف:

﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾

-الأمور كلها ضده. قال:-

﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ﴾

-يعمل عمل صالح:-

﴿ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾

-كل منكر, كل معصية:-

﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُدْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ﴾

[سورة الحج الآية:15]

هذا هو المعنى, يعني في معنى لا يليق بذات الله ببعض التفاسير, يعني: إذا لم يعجبك اشنق نفسك, لا يصح المعنى, مع الله لا يصح, الله يحب كل عباده, هكذا ببعض التفاسير: لم يعجبك اشنق نفسك, يعني مد حبله واشنق نفسك, هذا الحاضر, هذا كلام غير مقبول, نعم